ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

المشاكل المنهجية لدراسة الرسائل كمصادر تاريخية
رسائل ضياء الدين بن الاثير (ت٦٣٧/١٢٣٩م) نموذجاً

أ.م.د. علي حسين علي صالح
جامعة كركوك / كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

Methodological problems in studying letters as historical sources: The letters of Diya' al-Din Ibn al-Athir (d. 637 AH/1239 AD) as a model

Assistant prof. Ali Hussein Ali Saleh
University of Kirkuk / College of Basic Education
drali75@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث المشكلات المنهجية التي تعترض الباحثين عند استخدام الرسائل الأدبية والتاريخية كمصادر في دراسة التاريخ، وتتمحور الدراسة هنا عن رسائل ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) بوصفها نموذجًا يمثل هذا النوع من المصادر في العصرين الاتابكي والأيوبي ، والتي يغلب عليها الطابع البلاغي والزخرفي، مما يصعّب أحيانًا استنباط المعلومات التاريخية الدقيقة منها ، كما ان استخدام الاستعارات والتعابير المجازية يضفي على الرسائل طابعًا أدبيًا يباعدها عن الموضوعية التاريخية ، اذ كان ابن الأثير موظفًا في دواوين الدولة، ما قد يجعله يتبنى مواقف السلطة التي يخاطبها أو يدافع عنها، وهو ما يدفع باحتمالية تشويه أو انتقاء الحقائق لخدمة الخطاب السياسي ، اذ لا تزال المسائل الدينية في طور المهد في ظل وجود خطاب يتعامل مع النص، ومداخل هذا التناول أكثر مما انتاب التعليلات والتبريرات الفكرية والفلسفية للعملية البحثية، وبالتالي للعملية الإبداعية ذاتها، إجابات ابن الأثير عن أسئلة النصوص الأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية، وتصوراته المهمة عنها، هي قراءات جديدة، تستكشف العمق الثقافي العربي احياناً وتقومه أحيانا أخرى.

الكلمات المفتاحية : ضياء الدين بن الاثير ، الرسائل ، الحروب الصليبية.

Abstract

This research addresses the methodological problems facing researchers when using literary and historical letters as sources in the study of history، through studying the letters of Diya' al-Din Ibn al-Athir (d. 637 AH/1239 AD) as a model representing this type of source in the Ayyubid era. Ibn al-Athir's letters are predominantly rhetorical and decorative، which sometimes makes it difficult to extract accurate historical information from them. The use of metaphors and figurative expressions also gives the letters a literary character that distances them from historical objectivity. Ibn al-Athir was an employee in the state offices، which may make him adopt the positions of the authority he addresses or defends، and thus distort or select facts to serve the political discourse. Religious issues are still in their infancy in the presence of a discourse that deals with the text، and the approaches to this approach are more than the intellectual and philosophical justifications and explanations for the research process، and thus for the creative process itself. Ibn al-Athir's answers to the questions of literary، social، political and religious texts، and his important perceptions of them، are readings New، exploring and sometimes evaluating the depth of Arab culture.

Keywords: Diya' al-Din Ibn al-Athir، letters، Crusades.

مقدمة

كاتب هذه الورقة قدّم في مناسبة سابقة وقبل عقدين من الزمان دراسة محورها الرئيس ((رسائل ضياء الدين بن الأثير و قيمتها التاريخية)) [١] نبّه من خلالها الى محاولة الاهتمام بالرسائل بوصفها مصدراً أساسياً من مصادر دراسة فترة الحروب الصليبية و ما تلاها من احداث صاحبت الاحتلال الفرنجي الصليبي لبعض مدن بلاد الشام (نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)، و الزمت الدراسة في حينها وجوب الالتفات الى الرسائل لكونها تتضمن قيمة تاريخية كبيرة جدا بحاجة الى ان تُستخلص وتُعتصر من ثنايا نص الرسائل الانشائية المطولة أيا كان نوع خطابها ، ادبياً أو لغوياً وقبل ذلك كله تاريخيا وسياسيا لغرض تبيان القيمة لجهد فرد مفكر وكاتب لعبت اسرته دورا كبيرا في نهاية (القرن السادس و بداية القرن السابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين)، ضمن الإدارة في بعض الاتابكيات او الامارات في الموصل و دمشق و حلب ، وكل ذلك ساهم في زيادة فهمنا لتفاصيل خبر ذلك العصر الاجمالية سعيا وراء اكمال ملامح الصورة الكلية لعصر ضياء الدين بن الأثير .وخلصنا وقتها الى ان ((الرسائل)) التي احتوت من جلة ما احتوت على قيمتها التاريخية اذ رسمت لنفسها منحنى معرفيا عاما متصاعدا كشف لكثير من الاحداث و المعطيات التي عاشها كاتبها ، وقد لازم ذلك المنحنى المتصاعد ذو المكونات المعرفية المتراكبة ، عناصر محفزة هي المسؤولة عن صعوده ومنها سبر اغوار العلاقة بين أبناء الأثير انفسهم ومن ثم علاقة ضياء الدين مع أبناء وملوك البيت الايوبي ولاسيما مع الملك الأفضل بن السلطان صلاح الدين (٥٨٩-٦٢٢هـ / ١١٩٢-١٢٢٥م)، وأخيراً الوقوف على ابعاد علاقة السلطان صلاح الدين الايوبي بالخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ / ١١٧٩-١٢٢٤م) ، وكل هذه العناصر فعلت من جملة ما فعلت انها استقطبت الدارسين والباحثين المهتمين بدراسة هذه الفترة ان يدرسوا الرسائل و يحققوها ويقفوا على قيمتها التاريخية ثم يمازجوا هذه القيمة التاريخية للرسائل مع المعطى المتوافر (في كتب التاريخ) سواء على الساحة الشامية خاصة أو حتى على بلاد المشرق الإسلامي عامة ، لما تحمله هذه الرسائل من اثارة للجديد و إتمام لما لم يمكن ان يكتمل من طرح، لتحديد صورة الاحداث ولإعادة إحصاء المفردات الخبرية التي تكوّن العصر من كافة جوانبه وبالتالي محاولة الغوص في تفاصيل نصٍ بذاته لغرض اضاءة ما حوله ، وبعبارة أخرى يمكن عدّ الرسائل بوصفها وثائق مهمة معاصرة ومزامنة للأحداث وبالتالي فهي أكثر مصداقية وواقعية مقارنة ببعض المصادر التاريخية الأخرى. ومن المظاهر اللافتة للنظر اننا وعلى امتداد طيلة العقود السابقة للقرن الماضي ، لا نكاد نجد باحثا عربيا تصدى للكتابة عن الحروب الصليبية ، الا وتغافل الاعتماد على القيمة التاريخية لرسائل ضياء الدين بن الأثير بوصفها مصدرا مهما قدّم معلومات ليست بالقليلة عن هذه الفترة [٢] ، و كل ما كان لدى اغلبهم – أي الباحثين العرب – انهم تخيلوا تصورات سلبية عن ضياء الدين و طبيعة علاقته بالملك الأفضل اذ أُسندت اليه معظم أخطاء وسوء تصرفات الملك الأفضل تجاه اسرته [٣] مما ولّد صدود وعدم تقبّل المختصين بدراسة الحروب الصليبية لتناول رسائله او فهمهم لما احتوته من معلومات او تضمنّته من اراء ، والغريب ان الباحثين و المختصين تناولوا جانب من سيرته ولم يمضوا أكثر من ذلك. كل ذلك للأسف الشديد لم يلق أهمية وعناية الباحثين العرب – رغم أهمية الرسائل – وهو ما يؤشر ظاهرة غير إيجابية جعلتهم بالضد من الاقتباس عنها أو حتى رفضها بالكلية دون ادراك لمكانتها الحقيقية ضمن نسيج مصادر الحروب الصليبية، وهذا الاغفال قاد الى فصم كثير من النصوص والاحكام التي نستعين بها لتكوين صورة متكاملة وشاملة و وافية عن عصر الحروب الصليبية مما اضفى عليها مظاهر وسمات لم تكن منها أو قد ابخسها ملكاتها او ربما جعلها تنطق بما لم يدر بخلد من صاغها او من تبناها وانشأها وألفها ولأجل ذلك كله يستهدف هذا العمل التوقف امام المشاكل المنهجية لدراسة الرسائل كمصادر تاريخية والتنبه الى إشكاليات هذه الرسائل سعيا الى استجلاء محطات ومقومات تبلور المواقف التي اختطّها ابن الأثير لنفسه في معالجة وتدوين احداث عصره واستكشاف منظوره الخاص في رصدها وفهمها . ولعل واحدة من اهم هذه المحطات والمقومات التي انصبت عليها دراستنا هي تناول وجيز لسيرة ضياء الدين بن الأثير بما لها من مساس مباشر بمجريات نصوص الدراسة ثم الانتقال الى مشكلة عزوف المؤرخين المعاصرين له واللاحقين عن التعاطي مع رسائله بوصفها تراث ادبي محض ، مروراً بمشكلة أسلوب التلميح والتلويح فضلا عن مشكلة المقاصد الضمنية وأخيرا الوقوف على ابعاد علاقته بالملك الأفضل وكل ذلك يقود الى دراسات لاحقه مستقبلا تتمحور حول إشكاليات جمّة ولعل أهمها غياب التزمين ((تاريخ ارسال الرسالة)) في معظم الرسائل وهي محطة تحتاج الى دراسة مستفيضة شافية فضلا عن تجاهل اسم المرسل والمرسل اليه، وهل عمد الكاتب الى ذلك قصداً ام دون قصد ، ولماذا؟هذا الى جانب البحث عن المكانة التي احتلتها الرسائل بين دراسات المؤرخين المعاصرين واللاحقين لها ومن ثم السعي لرصد أهمية الرسائل ضمن سياق الكتابات العربية والإسلامية المختصة بدراسة تاريخ الحروب الصليبية وأخيرا استقصاء طبيعة التلقي الغربي لهذه الرسائل وتبيان وجهات النظر في تقييمها ، لا سيما بعد التراكم المعرفي الكبير للدراسات الغربية عن هذا السياق وتطور المفاهيم والمناهج في تناوله ومن دون شك فان كل ذلك يتأتى بعد توالي السنين والعقود و تدافع الدراسات و بزوغ الأفكار وأفول غيرها

، ولعل ما يتبادر إلى ذهن البعض أن الستار أُسدل على مختلف قضايا الرسائل، بيد أن المتدبّر لحقيقة نصوص الرسائل والفاحص المتأمل لمعانيها ومناسبات إرسالها ، قد يضع يديه على بعض المفاصل والقضايا التي أغفلتها اهتمامات الدارسين والنقاد والمؤلفين.حضيت رسائل ضياء الدين بن الأثير بجملة من الدراسات والبحوث والمؤلفات في أطار الوقوف على ظواهر هذا الادب التاريخية والفنية والموضوعية على حد سواء[٤] ، وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن الستار أسدل على مختلف قضايا الرسائل، بيد أن المتدبر لحقيقة نصوص الرسائل والفاحص المتأمل لمعانيها ومناسبات إرسالها، قد يضع يديه على بعض المفاصل والقضايا التي أغفلتها اهتمامات الدارسين والنقاد والمؤلفين .وقد طمحت هذه الدراسة إلى بحث ما لم يبحث سابقا بشكل مفصل من خلال الوقوف على روافد الرسائل وقضاياها ومكوناتها الفنية والنفسية وما يقف وراءها من أبعاد ذاتية واجتماعية وسياسية ونفسية، كما تهدف الدراسة إلى كشف القناع عن حقيقته الظاهرة والغوص في أعماقها سعيا للخروج بنتائج علمية مثمرة اعتمادا على ما يتوافر من حقائق احتوتها الرسائل نفسها.

جانب من سيرته

تبقى العديد من المشاكل المنهجية ملازمة لدراسة الرسائل وقيمتها التاريخية، ولعل بعض تلك المشاكل والغموض الذي انتاب بعض الرسائل لعله راجع إلى السيرة الذاتية للمؤلف والكاتب نفسه إذ أن الرسائل تكشف عن إسرار توجهه الخاص لإيماننا أن رسائله وكتابته ماهي الا انعكاس لما في حياته، وهنا تأتي السيرة الذاتية لضياء الدين بن الأثير من أكثر القضايا المؤثرة في تحديد مسار رسائله، فضلا عن ذلك فقد هيأت لنا تلك الاضاءات الذاتية فرصة الموازنة والبحث في الإطار الذي تركته سيرة الكاتب وسلوكه الاجتماعي على نتاجه الفني والمعرفي، ومن ثم على توجهه العبثي في بعض الأحيان، وذلك إننا وضعنا في الحسبان أن الاشتراك والتماثل في الحياة قد يقود إلى الاشتراك والتماثل في النتاج الفني والمعرفي، كذلك وقد يؤدي – في ذات الوقت – إلى الافتراق في ذلك النتاج نفسه لان النتاج الفني والمعرفي لم يكن عملا ميكانيكيا أوعملاً الياً مجرداً ، بقدر ما هو عمل معرفي مختلف ومتداخل ومتشابك.عاش أبن الأثير وترعرع بين عصري من أزهى العصور الإسلامية وتأثر بالحضارة والثقافة فيهما لا سيما في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني والثالث عشر للميلاد، وهما كلاً من العصر الزنكي والعصر الأيوبي والذين شهدا قمة الصراع والجهاد ضد الصليبيين، هذا الجهاد الذي أنطلق من مدينة الموصل ثم اضطلع به الزنكيون ومن بعدهم الأيوبيين على شكل حملات جهادية متواصلة حفزت الامة الإسلامية لتسخير كل طاقاتها الشبابية وإمكاناتها المادية والبشرية ضد الصليبيين، وأمام هذا الأمر استنفر المؤرخين واخذوا دوراً بارزاً في توثيق الاحداث السياسية والعسكرية وتدوين المجريات التاريخية، ومثّلت رسائل أبن الأثير جانباً مهماً من هذا التوثيق بحكم الوثائق التاريخية التي حملتها والمخاطبات الرسمية والشخصية التي خلفتها، فضلاً عن ابراز الرسائل لطبيعة العلاقات التي ربطت بعض رجالات العصر بالسلطة السياسية وكشفت عن مدى تأثيرهم وتأثرهم بل ودورهم في رسم مجريات الأحداث التي شهدها العصر، أو بعبارة أخرى كشفت عن مدى عمق او سطحية صلتهم بالسلطة الحاكمة.

هو نصر الله محمد بن محمد بن عبدالكريم، لقبه ضياء الدين، وكنيته ابي الفتح المعروف بابن الأثير الجزري[٥] ، ولد سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣م) في جزيرة ابن عمر[٦] ، التي قضى بها طفولته وشطراً من شبابه حتى انتقل مع اسرته الى الموصل سنة (٥٧٩ هـ /١١٨٣م)[٧] ، وبها دشّن بواكير حياته العلمية وامتلك بها ثقافته الواسعة وتتلمذ فيها على يد بعض شيوخها وعلمائها الذين نهل منهم معين معارفه وعلومه[٨] ، فضلاً عن حفظه للقرآن الكريم وجانباً من الأحاديث النبوية الشريفة التي سمع الكثير منها على أخيه الاكبر مجد الدين[٩] ، ودون شك أنه اهتم بأصول اللغة العربية من النحو واللغة وعلم البيان والأدب[١٠] ، هذا الى جانب حفظه للشعر قديمة ومحدثة، بدليل قوله: ((وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة، ثم اقتصرت بعد ذلك كله على شعر الطائيين، حبيب بن أوس وأبي عبادة البحتري وشعر ابي الطيب المتنبي، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين، حتى تمكنت من صوغ المعاني، وصار الادمان لي خلقاً وطبعاً))[١١].ثم كرّس اهتمامه الواسع بالأمثال والسير، وابدى عناية فائقة بفن الانشاء و((الترسل وصرف همه اليه طول حياته.... حتى برز فيه فاعجز المتقدمين وسلك فيه طريقاً لم يسلكها أحد قبله... وبذلك بلغ في الكتابة اقصى مرامه حتى ملك اعنتها، وحازها وعرف حقيقتها ومجازها... فاصبح شيخ الكتاب ورئيسهم، وامام البلغاء ونفيسهم)) [١٢]، وهو بهذه المؤهلات العلمية الواسعة قد استغل قرب أسرته وعلو كعبها عند رجال الدولة الاتابكية في الموصل ولا سيما اخيه الاكبر مجد الدين الذي تولى ديوان الانشاء لحاكم الموصل عز الدين مسعود (٥٧٦-٥٩٨ هـ/ ١١٨٠-١٢٠٢م) [١٣]، الذي سهل له العمل مع مجاهد الدين قايماز[١٤] ، وبعد برهة فارقه تاركاً الموصل الى الشام ملتحقاً بخدمة سلاطين وملوك الدولة الايوبية ومنهم الملك الأفضل بن صلاح الدين الايوبي في سنة (٥٨٣ هـ /١١٨٧م) [١٥].

ولما خرجت دمشق من يد الملك الأفضل سنة (٥٩٢هـ – ١١٩٥م)، غادرها ضياء الدين عائداً الى الموصل فاستقر بها هناك في خدمة حاكمها نور الدين ارسلان شاه الاول (٥٨٩ – ٦٠٧هـ / ١١٩٣ – ١٢١٠م) لبضع سنين [١٦] ، ثم عاد ثانية لخدمة الملك الافضل في دمشق سنة (٥٩٦ هـ – ١١٩٩م)[١٧] ، ومنها الى مصر التي لم يطل بقائه فيها[١٨] ، وهو في هذه المرحلة أيضاً برفقة الملك الأفضل ولكن الى سيمساط[١٩] ، التي استقر فيها حتى سنة (٦٠٨ هـ – ١٢١١م)[٢٠] ، ثم أتجه صوب حلب ومنها الى الموصل ثم الى اربل ثم مكث في سنجار ردحاً من الزمن[٢١] ، واخيراً القى رحاله في الموصل واتخذها دار أقامته حتى وفاته سنة(٦٣٧ هـ – ١٢٣٩م)[٢٢] اذ عمل فيها لخدمة حاكمها بدر الدين لؤلؤ (٦٣١ – ٦٥٨ هـ/ ١٢٣٣ – ١٢٥٩م) وتوفي في بغداد بعد ان ارسله حاكم الموصل رسولاً منه الى الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ – ١٢٤٢ م)[٢٣] .

عزوف المؤرخين عن الرسائل بوصفها تراث ادبي محض

وهكذا فقد جاءت دراسة المشاكل المنهجية التي احتوتها الرسائل قائمة في حقيقتها على الرصد والتصور والاستنتاج والحكم، ومن ثم الخروج بالنتائج العلمية بعد مرحلة الإحصاء والتحليل لبعض نصوص الرسائل التي ساقها ابن الأثير، وكل ذلك يتأتى بعد دقة نظر، وطول تأمل، وعمق استقرار. فلو تم استثمار تلك المشاكل المنهجية ورصدها وإحصائها ومن ثم معالجتها، لتحديد مؤونة معرفية تاريخية بما يسهم في تقديم رؤيا صادقة عن عصر ضياء الدين بن الأثير خالية من اللبس والغموض وقريبة من التناول والتحصيل، وبما يمكّن من إدراك مقاصد الخطاب الأدبي المتمثل بأسلوب الرسائل وبما ينمّي مهارات استنباط حقائق جديدة – لدى متلقيها وقارئها– على الوجوه الفصيحة والصحيحة ومما يدفع بالاجتهاد للبحث والدراسة عن المشاكل المنهجية للرسائل هو إهمال معظم الدراسات التي تناولت لأبناء الأثير بالبحث والكتابة، أن تنصب لدراسة ضياء الدين لوحدة ولاسيما تلك التي أثرت إغفال القيمة التاريخية لرسائله[٢٤] ، أذ كانت تنظر للرسائل بأنها شيئا ثانوياً، فاستهانت بنتاجات هذا الأديب والمترسل لأنها استثنت الرسائل واعتبرتها من خصائص الأدب وذات محتوى نثري محض. دون شك أن لكل تطور يحدث في اي عصر من العصور الإسلامية سواء كان علمي أو فكري أو عقائدي ينعكس تأثيره على شؤون الحياة الاجتماعية العامة، وأن هذا التطور الحاصل في اي ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير، ولذلك تعد اللغة اصدق سجل لتاريخ الشعوب[٢٥] ، ولعل ذلك ما يدفع بالاتجاه نحو دراسة الرسائل بوصفها لسان الواقع الحضاري المعاش لأنها حاملة له بمتغيره المتجدد وبثابتة المتأبد الذي يُرى جليا داخل مفرداتها ووسط تضاعيف لغتها وأسلوبها. وتكمن أهمية إبراز المشاكل المنهجية في أنها كفيلة – أذا درست وعولجت – بان تجعل من الرسائل مصدراً ثرياً للمعرفة الإنسانية والاجتماعية، بل ولكل أنواع المعرفة في عصر ابن الأثير وليس للمعرفة الأدبية وحدها، وبيان وجاهة هذه الأسس، والكشف عن قيمة هذا الثراء المعرفي لا يتأتى ألا بالاستفادة من معالجة المشاكل المنهجية للرسائل والتي ستُسهم بعد ذلك في صناعة وتقديم الخبر التاريخي الصحيح، مما يستوجب علينا أعادة قراءة نصوص الرسائل بالمعطيات العلمية الحديثة لنقف على طاقتها الإيحائية للتعبير عن الحدث ولقدرتها البلاغية في توظيف اللغة والتأثير على المتلقي لإيصال فكرة وهدف الرسالة، وبعبارة أخرى يتطلب الأمر قراءة جديدة، تجلي الحقائق، وتزيل الغموض، وتصحح المفاهيم، وترد على الشبهات والأباطيل، بغية إدراك مدى قدرة الرسائل في إغناء الرصيد المعرفي التاريخي او لعلها تضيف معرفة جديدة لم تدبّجها كتب التاريخ المعاصرة للفترة ،ومن دون ذلك يتعذر الوصول إلى الدلالات اللغوية وفك الشفرات البلاغية، بل ومن دونها ايضاً تكون اللغة غير قادرة على أداء وظائفها. اغلب الباحثين لم يُقدموا الى دراسة الرسائل لتقديم رؤية شاملة عن روح عصر ابن الأثير إذ حالت دون تحقيق هذا الهدف جملة من الامور كان اكثرها الالتفات الى الكتب و المراجع التأريخية لأخذ الاشارات والمعارف عن اي دراسة او مسألة او فكرة واسندوا الى هذه الكتب و المراجع كل صفات البراعة والتفوق والامتياز فكان هذا حاجزاً منع الدارسين المهتمين من النظر للرسائل بوصفها عمل تاريخي ادبي وكوحدة متجانسة منسجمة يعزى فيها الابداع الى درجة الائتلاف والامتياز بين الادب والتاريخ، اما السبب الآخر فقد عدّو الرسائل ذات نكهة ادبية صرفة ومن العسير استخراج اي مؤونة معرفية تاريخية منها لرسم صورة متكاملة لعصر ابن الاثير اذ لا يمكن تصور ان الرسائل قد رسمت معالم تلك الصورة او لامست اطرفها، وبذلك حدثت هوّة عميقة شرخت التصوير الكامل لتاريخ وثقافة فترة الدراسة ووضعت فاصلاً زمنياً معتماً كان لابد من نسفه كي يتواصل هذا التراث المجيد ويضيئ عتمة القرون المظلمة، غير ان – وكما اشرنا– معظم الدارسين قد تقاعس عن محاولة ردم الهوّة، ورفو ما تقطّعت به الاسباب، فأستند فقط الى كتب التاريخ يستقي منها، ولجأ الى معينها ينهل منه فبدأ تأثره الجلي بها، واعتماده الصارخ عليها دون سواها من روافد الثقافات و المعارف و العلوم الاخرى.

أسلوب التلميح و التلويح

ومن المشاكل المنهجية للرسائل هو سلوك الكتّاب والمترسلين أسلوب التلميح والتلويح الذي قد يصل إلى حد الغموض أحيانا، إذ نجد ثمّة تحديات سياسية وعسكرية واجتماعية تقف عائقاً امام الكتّاب في الرسائل وهذا كله يتطلب منحى تعبيرياً خاصاً من أصحاب هذا التوجه الأمر الذي فرض في نهاية المطاف أن تؤسس تلك النصوص في أطار التشكيل الفني الذي يبتعد فيه القريب، مما يجعل تلك النصوص كائنه في دائرة التعبير الرمزي المحض، وهذا ما يتطلب قراءة نصوص الرسائل قراءة نقدية واعية، ومنتجة، قائمة على استنباط غايات الكاتب او المترسّل والوقوف على أدواته الدلالية، والتي نتجت عنها هذه الرسالة أو تلك، التي تأتي افرازاً لما كان يشغل عقل الكاتب وإحساسه، فتولدّ من ذلك الإحساس الفن الذي ضخ فيه الكاتب جلّ ما يملك من عناصر إبداعية صاغ فيها رسائله، بما يُغني العقل ويُخصب التفكير بكل ما هو مثير، إذ ذاك يقع المتلقي (أو القارئ للرسالة) في دائرة أيهام التخيل الذي عاشه الكاتب إبّان نظمه نصوص رسالته، ولعل أهم مفاتيح فك مغالق النص، الوقوف عند حياة الكاتب والظروف التاريخية التي دعته للترسل، غير متناسين استكناه غايته الفنية في عرضه لقدرته الأدبية والبلاغية العالية. ولابد من الإشارة هنا ، ان الرسائل قد واكبت الأحوال السياسية والعسكرية في تقلباتها المختلفة ، اذ كانت مسعفة في النكسات – كما هي مروجة للانتصارات – محاولة جاهدة التخفيف من اثرها ، وبعث الامل في النفوس عندما يساورها شعور اليأس ، كما هو الحال عندما شرع ابن الاثير يواسي القاضي الفاضل في وقفته مع السلطان صلاح الدين قبيل سقوط عكا بيد الصليبيين بقوله : ((المملوك ينهي ان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بالطاعة ، ولا تفرج الشدائد الا بالرجوع اليه والامتثال لأمر شريعته ... وقد اجرى الله تعالى على يد مولانا فتح البيت المقدس ما يكون بمشيئة الله له حجة في رضاه ، ونعوذ بالله ان يكون حجة له في غضبه))[٢٦] ، وبذلك مثل كاتب الانشاء بوصفه المنظّر السياسي لفلسفة السلطة في علاقاتها الخارجية ، وانطلاقا من هذه التصورات السياسية المحظة اشترط ضياء الدين [٢٧] شروط عدّة يجب توفرها في كاتب الانشاء بقوله ((اشرف صناعات الممالك واسناها ، وافضل درجات المملكة وأعلاها وأميز رتبها وابهاها، وهو اليد اليمنى التي بها الاخذ والعطاء ، والمنع و الامضاء والبسط والقبض ، والوصل والفضّ ، والسر والجهر ، والنهي والامر ، وهو على كل حال أسّ النظام ، وحفظ الانام)).

المقاصد الضمنية

تعد القصدية واحدة من اعقد المشاكل المنهجية لدراسة الرسائل التاريخية او يسمى بالمقاصد الضمنية، فعلى الرغم من تعبير ابن الاثير المباشر والصريح عن مقاصده في اكثر من رسالة والتي تبدو واضحة وجلية في ضوء عنوان الرسالة ومقدماتها في اغلب الاحيان، كما إنه يُحسن جيداً طبيعة العلاقة بين الكاتب والمتلقي، اذ كان لزاماً على كاتب الرسالة ان يكون على علم ودراية بمتلقيه وبكل الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة به بشكل محدد، ومن ثم فهو يضع في اعتباره كل هذه العوامل مجتمعة حتى يحقق برسائله نجاحاً تواصلياً [٢٨] ، بعبارة أخرى يعمد ابن الأثير الى التمهيد عن قصده المباشر في الرسائل، وهو يستغرق بمدح الشخص الموجه اليه الرسالة، والدعاء له، فيجعل الدعاء في بداية الرسالة مشتقاً من المعنى الذي بني عليه الكاتب، وقد اشترط ابن الأثير نفسه هذا الركن وجعله من الاركان التي لا مناص من ايداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن[٢٩] .إذ كانت هناك مقاصد ضمنية وهي اشبه ما تكون معارضةُ لكتّاب عصره ولكن بتلميح، واقرار بالفخر والاسبقية ولكن دون تصريح، وكل ذلك يخدم الغاية الرئيسة التي قصدها ابن الأثير في رسالته او مجموعة من رسائله، وهذه الضمنية والغموض لم تأت من عدم ولم تتشكل في فراغ وانما جُسّدت المعاني الضمنية في الرسائل بأسلوب ادبي رفيع تملكه الكاتب الذي أُشبع بثقافة القرآن الكريم وحفظه للكثير من الاحاديث النبوية الشريفة ((واحتوائه للتراث الشعري لكبار الشعراء والادباء المسلمين، كما تجلى ذلك في نزعة ابن الأثير للاعتداد بنفسه اذ نراه كثير السوق لنفثات قلمه، كثير الاستشهاد بما خطّه يراعه، كثير التوقف عند تلك النماذج، كثير الاعجاب بها، شديد الحرص على لفت نظر القارئ الى وجوه الحسن فيها، شديد الاهتمام لان يشاركه القارئ في اعجابه وصرخات استحسانه)) [٣٠].

ولعل ما يدفعه لعدم التصريح، ابراز تراثه الادبي الخاص بوصفه عملا ينم عن قريحة ادبية بذّت اقرانه المعاصرين له، بقوله: ((لقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن اسرارها واظفرتني بكنوز جواهرها، اذ لم يظفر غيري بإحجارها)) [٣١] ، واشار في موضع آخر: ((وكما مارست انا هذا الفن – اعني فن الكتابة – وقلبته ظهراً لبطن، وفتشت عن دفائنه وخباياه، واكثرت من تحصيل مواده والأسباب الموصلة الى الغاية منه، سنح لي في شيء من المعاني المخترعة طريق سلكته)) [٣٢]، وليس هذا فحسب بل ان ابن الاثير يشير الى تعمده في ذلك لإبراز ما جادت به قريحته في هذه الصناعة التي يجهلها الكثير من متعاطيها، ((والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والأطراف ويقنع من لآلئها بمعرفة ما في الأصداف، ولو استخرج منها ما استخرجت واستنتج منها ما استنتجت لهام بها في كل واد، وتزود الى سلوك طريقها كل زاد))

[٣٣]. يحاول ابن الاثير جاهداً رسم صورة جديدة تأخذ منحا مغاير او غريب عن احداث ومشاهد عصره، عّما هو مألوف في كتب ومصادر التاريخ المعاصر له، إذ نراه ينفتح في نظمه لرسائله على فضاء يقدم في لوحة ترسم اجزاؤها بكلمات تولدّ نوعاً من الانسجام الفني الادبي الذي يتجسد في اشكال مختلفة ومميزة ذات ابعاد جمالية قادرة على ضبط الغاية والهدف في النص، وتوسّع من افقه وتشد في نسجه من خلال علاقات بنيوية تكّون شبكة مترابطة من المعلومات والروافد الاخبارية التي تمتاز بكمّونها الثقافي وتبلورها ضمن اطر شكلية محددة، ان هذا التكوين الفني الادبي ينتج وحدة ابداعية ذات قيمة تاريخية عالية، ليس ممكنا الاستغناء عنها في تقديم صورة متكاملة لعصر ابن الاثير، فتبدو قالباً يحمل فكرة، ووسيلة تنقل وتكشف عن تجربة انسانية مستمدة من الجوانب التاريخية الواقعية المعاشة التي يتسوّر داخلها الكاتب، ويستلهم منها رؤاه التي تفسح امامه مجال الابداع والترسل، ولكن الواقع في ذاته لا يكفي لإدارة التجربة الابداعية في الترسل ولا يشبع نهمه المتعطش للنادر والمتفرد في الترسل، لا سيما في معارضته لأبرز كُتّاب ومترسلي عصره نظير القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد وغيرهم، لذلك نجده يحتاج الى سمة روحية تبعده عن إسار المادة، فيلجا الى التورية والخيال والضمنية ليرتقي في درجات الشفافية والسمو الاخلاقي، وعندما يمزج بين هاتين القوتين: مادية الواقع وخيال الاديب فأنه يأخذ من طرفي الصيغة الادبية، ويتنقل بحرية بين قطبي الشحنة المعرفية والفنية، وكل ذلك يدفع بالباحث عن الرسائل ان يجد فيها ما يوفر له اضاءات الحواف البعيدة المنال في مؤلفات بعض كُتّاب ومؤرخي عصره، فيقارن بين حقائق متباعدة ، ويقارب بين حقائق متناقضة او مختلفة، لان الحقائق المتباعدة قد تلتقي في الواقع، فيقارن بينها –كخصومة ابن الاثير مع مخدومة الملك الافضل– اما المتناقضة فيُجهد الباحث نفسه للبحث لها عن دقائق غائمة او جزيئات متشابهة ويعقد بينها مقاربة، وهذه الأخيرة تسمح للمتلقي ان يفوز باستمرارية التجديد في قراءة نص الرسائل من خلال اكتشافه مجاهل معرفية / تاريخية غفل عنها مؤرخي ومهتمي تراث هذا العصر. رسائل ابن الاثير تحمل في بعضها الكثير من الكناية و الغموض واحتمالات التأويل كون منُشأها لا يشير صراحة الى هدفه ومبتغاه ولا يوضح الغاية المراد منها ارسال الرسالة ، وهذا ما نجد بعضه عندما اقدم ضياء الدين على الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الايوبي (٥٨٩ – ٦١٣هـ / ١١٩٣ – ١٢١٦م) سعياً للعمل معه في حلب بعد انتكاساته السابقة برفقه الملك الأفضل ، الا انه لا يطرح مؤهلاته للعمل ولكن فحوى الكلام و ظلاله الوارفة على النص توحي بشيء من هذا ، بقوله : ((وما كل من عرض بحاجته يسمى سائلا، ولا كل من اجال فكرة في مطلوب يسمى املاً)) [٣٤] ، ويذكر ذات المعنى في رسالة أخرى ترد فيها مفردة الخدمة بقوله : ((خلد الله ذكر الجناب العالي المولوي الملكي الظاهري وسير من احاديث سيفه وقلمه سيرتين ، وجعل الليالي والأيام في قبضته اسيرتين ، واخدمه غاربي الشمس والقمر حتى يكونا الى عليائه سفيرتين)) [٣٥]. انبرى ضياء الدين في تقديمه لنقد عنيف وذم للموظف الإداري غير الكفوء ، اذ أشار في احدى رسائله التي جاءت بعنوان رسالة تتضمن ذم كاتب ممن يدعي الكتابة وليس منها ، ماجاء نصه مستهجناً : ((وكنت أرصدت نفسي لجمع شي من كتبك التي اغربت فيها بزعمك كل الغرابة ، وتقلدت بسببها في الدولة الفلانية منصب الكتابة ، وما من كتاب منها الا وقد اثرت الكلمة في القرطاس ندوب عضاض ، وغادرته وهو سواد كله اذا كان غيره من الكتب سواداً في بياض ، فلا يقف عليه واقف الا وجد في حلقه سورة الدخان ، ومن الحشائش ما يسمى خانق الكلب وهذا هو خانق الانسان)) [٣٦]، وكتب كتاباً ((عن نفسه الى بعض الكتاب المشاهير عزل عن منصبه واستبدل به غيره ممن لا يقوم في مقامه)) [٣٧] ، وتلاه كتاب اخر ((كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان يتضمن شكوى الكتابة وتظلمها اذ صارت الى غير أهلها)) [٣٨]. فهنا يمجّ ابن الاثير ادعاءات إمكانية الكتابة والابداع فيها ، اذ تظهر من مواقفه نكهة الرضا او الاستياء او القبول او الرفض او التأييد او المعارضة ومع كل ذلك لا يشير صراحة بل يضمّن مواقفه وردود افعاله في صياغة لغوية دون الإشارة الى اسم الموظف غير الكفوء او الإشارة صراحةً الى اسم السلطة الإدارية الحاكمة .

علاقته بالملك الأفضل

اشارت المصادر التاريخية الى وقوع الملك الأفضل تحت تأثير وزيره ضياء الدين الذي أشار عليه بأستبعاد امراء ابيه والاعتماد على قادة جدد يتبعونه [٣٩]، فأدى ذلك الى التجاء هؤلاء الامراء الى أخيه العزيز عثمان ملك مصر (٥٨٩ – ٥٩٥هـ / ١١٩٣ – ١٢٠٠م) ، وتأليبهم ايّاه ضد الملك الأفضل[٤٠]، وهكذا بدأت المشاكل بين الاخوين وانتهت بخسارة الأفضل لدمشق وانكفائه في صرخد [٤١] ، وهنا يجب التنويه ان المصادر التاريخية التي تناولت لسيرة الملك الأفضل وقعت تحت تأثير اراء وروايات المؤرخ عماد الدين الاصفهاني ، الذي كان ساخطاً على الأفضل لأنه قرّب خصمه الوزير ضياء الدين وابعد الاصفهاني عن دائرة التأثير والنفوذ ، فقدّم صورة قاتمة نقلها كل من ابي واصل وأبو شامة وغيرهم [٤٢] .

تشي الرسائل بجانب من العلاقة بين ضياء الدين بن الأثير والملك الأفضل و تخبرنا بما لم تخبرنا بيه المصادر التاريخية ، وبشكل عام كتب ضياء الدين عن نفسه الى الملك الأفضل (١٦) رسالة [٤٣] ، تنوعت في اغراضها ومعانيها وتباينت في الأماكن التي أرسلت اليها بحسب حضور الملك الأفضل فيها ، وما يهمنا هنا الرسالة الوحيدة في مجمل مجاميع نشرات الرسائل والتي كتبت بقلم الملك الأفضل [٤٤] ، ولعل الراصد لمعنى الرسالة يجدها تثير كثيرا من الإشكالات البحثية، اذ انها جاءت ردا على رسالة سابقة لضياء الدين يطلب فيها العودة لخدمة الملك الأفضل[٤٥] ، ولعل الرسالة قد نكأت جروحه وأجاب عليها برسالة على ما فيها من قناع بلاغي من حسن لفظ وجمال فكرة ألا أنها تخفي عتاب الملوك القاسي الشديد لرجل كان من المتوقع منه أن يلازم سيده وليس ذلك الإنسان المنفلت غير المنضبط الذي لا تقيده قيود ولا تحده صدود، إذ يبدو فعله هذا خارجا عن نواميس عصره ومجتمعه، حتى كأن الأقدار حيرّته باحثاً عن كل ما يحقق ذاته ويشبع نهمه من دون كابح، لذلك نراه يلهث وراء شهواته ويسعى لسد نهمه دون أن يضع في حسبانه ما يمكن أن يؤول إليه فعله من نتائج .

إن تقلب ابن الأثير في التحلق حول أكثر من سلطان أو أمير أو حاكم هو أمر أتاح له مزيداً من الحرية وفتح إمامه امتدادا لأفق الإبداع – في ظنه – الذي تشكل في وعيه على وفق ما يُمكّن له أن يقدم لنفسه من مبررات تتحول فيها الآلام إلى أمال، والكبوات إلى همه، والرغبات إلى ممارسات وأقوال، لاعبا أحيانا على أوتار اللغة مستثمراً ما فيها من تشبيهات واستعارات وتضاد فضلا عن ما نجده من إشارات ودلالات ورموز، بعبارة أخرى فانه قرر ركوب الموج بعد أن تعارضت أناه مع واقعه الاجتماعي والإداري وان كلف الأمر أحيانا الانطواء والانزواء والرفض لما هو مألوف وكأنّه شعور بالنصر بعد الهزيمة، واحساس بالظفر بعد الياس وانه ثمت مسوغات تقف وراء إحساسه بممارسة الحرية حتى وان خرجت عن أُطرها التقليدية المنضوية تحت الأعراف الاجتماعية، بل الإنسانية بمعناها الأشمل.

العلاقة أخر بالبعد والجفاء مع الملك الأفضل ولّدت لديه إحساس خاص وغريب يلقاه حينا بالشوق والمودة، وحينا أخر بالبعد و الجفاء ، فالعلاقة والصحبة المتوافرة لضياء الدين مع الملك الأفضل قد أتاحت للأول حب الثاني، وهذا الحب مركوز في نفسه، متجذّر في قلبه بيد أن الذي يحّول هذا الحب إلى النكوص هي الظروف التي ألمّت بضياء الدين وجعلته يأخذ هذا السلوك والتجافي والتنكّر لأفضال الملك الأفضل عليه.

الخاتمة

تعد الرسائل من المصادر التاريخية الغنية التي توفر نافذة نادرة لفهم الكثير من الجوانب الغامضة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي أُنشأت فيه ، ومع ذلك تبقى هذه الرسائل محاطة بتحديات منهجية تستدعي معالجة اكاديمية ونقدية دقيقة من المؤرخين والباحثين لزيادة ادراكنا عن عصر الحروب الصليبية لما احتوته من معلومات او تضمّنته من اراء ، والغريب ان الباحثين و المختصين تناولوا جانب من سيرة ابن الاثير ولم يمضوا أكثر من ذلك. كما أن الانحياز السياسي الذي قد يظهر في الرسائل، إلى جانب الذاتية التي تحكم اختيار المواضيع والتعبير عنها، يطرح تساؤلات حول مدى مصداقيتها كوثائق تاريخية محايدة. فضلا عن ذلك فإن سياق الرسائل المحدود غالبًا ما يتطلب تدخلًا من مصادر أخرى لتفسير الأحداث والوقائع بشكل صحيح . ومن جانب آخر، لا يمكن التقليل من قيمة الرسائل كمصادر تاريخية. فقد توفر إشارات هامة حول العلاقات السياسية، والأساليب البلاغية المستخدمة في التواصل الرسمي، كما تشي الرسائل بمعلومات وافية عن الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة انذاك. لذا، فإن الاستفادة المثلى من هذه الرسائل تتطلب منهجًا نقديًا يجمع بين الفهم الأدبي والتمحيص التاريخي ، وفي النهاية، تبرز الحاجة إلى تطوير منهجيات بحثية متكاملة تتجاوز الجوانب التقليدية في دراسة المصادر التاريخية، لتشمل التحليل الأدبي والنقد التاريخي في آن واحد. كما يجب على الباحثين مستقبلاً أن يكونوا أكثر حرصًا في التعامل مع هذه الرسائل من خلال مراعاة السياقات الاجتماعية والسياسية، واستخدام أدوات متعددة لتوثيق وتحليل هذه المصادر بشكل منهجي وموضوعي ، وإن دراسة رسائل ابن الأثير وغيرها من الرسائل التاريخية تمنحنا فرصة لفهم أعمق للعصر الذي نشأت فيه، لكنها تضع على عاتق الباحثين مسؤولية كبيرة في التعامل مع هذه المصادر بما يتناسب مع تعقيداتها وتحدياتها المنهجية.

الهوامش

١. كان في اصلها أطروحة دكتوراه للباحث علي حسين علي صالح نوقشت في جامعة الموصل ، كلية التربية ، قسم التاريخ لسنة ٢٠٠٦ ، ثم طبعتها دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، لسنة ٢٠١٢.

[٢] ضياء الدين بن الاثير، ابو الفتح نصر الله بن ابو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، رسائل ابن الاثير، تحقيق: انيس المقدسي، مطبوع بمساعدة المجمع العلمي العراقي، (بيروت،١٩٥٩)، وسيرمز لها للاختصار نشرة (م) ؛ رسائل ابن الاثير، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل،١٩٨٢) ، وسيرمز لها للاختصار نشرة (ق-هـ) ؛ رسائل ابن الاثير، تحقيق: هلال ناجي، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل،١٩٨٢)، ج٢ ، وسيرمز لها للاختصار نشرة (هـ) .

[٣] ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابو بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت،١٩٧٨)، ٣٨٩/٥.

[٤] مطلوب، احمد، ضياء الدين بن الاثير، دار الشؤون الثقافية، (بغداد،١٩٨٨) ؛ زيات، حبيب، الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الاثير، مجلة المشرق، مجلد ٤ ، (بيروت،١٩٣٩) ؛ المقدسي، انيس، الدولة الايوبية في رسائل بن الاثير، مجلة الابحاث، مجلد ٣-٤ ، (بيروت،١٩٦٥) ؛ المقدسي، انيس، رسائل ابن الاثير، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٣١، (دمشق،١٩٥٦)،ج ٣ ؛ المنجد، صلاح الدين، رسائل ابن الاثير، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٥، مطبعة جامعة الدول العربية، (القاهرة،١٩٥٩) ، ١ ؛ علي ، علي حسين ، دراسة في مخطوطات رسائل ضياء الدين بن الاثير ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، السنة الرابعة ، العدد ١ (كركوك ، ٢٠٠٩) ، ص٢٢٧-٢٤٤ ؛ علي ، علي حسين و علي سلطان عباس ، الدبلوماسية في عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٥٨٩هـ / ١٠٩٧-١١٩٣م ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، السنة الرابعة ، العدد ٢ (كركوك ، ٢٠٠٩) ، ص ٧٢٢-٧٣١.

[٥] ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٣٨٩/٥.

[٦] ابن الشعار، كمال الدين ابو البركات المبارك الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٥)، ٣٦/٩.

[٧] ابن الشعار، قلائد الجمان، ٣٧/٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٨٩/٥.

[٨] اليونيني، قطب الدين ابو الفتح مؤمن بن محمد بن خالد، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس ،(حيدر اياد ، ١٩٥٤)، ٦٤/١.

[٩] ابن الشعار، قلائد الجمان، ٣٦/٩.

[١٠] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٨٩/٥.

[١١] ضياء الدين بن الاثير، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق: يحيى عبد العظيم ، دار الذخائر (القاهرة ،٢٠٠٤)، ص١٨١.

[١٢] ابن الشعار، قلائد الجمان، ٣٦/٩-٣٧.

[١٣] ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت، معجم الادباء، ط٣ ،تحقيق: صموئيل مرجوليوث ، دار الفكر، (بيروت،١٩٨٠)، ٧٢/١٧.

[١٤] مجاهد الدين قايماز: ابو منصور قايماز بن عبدالله الزيني، الملقب بمجاهد الدين الخادم فاضلا ، ديناً، كثير العبادة ولديه اعمال عمرانية من جوامع ومدارس وبيمارستانات ، حكم اربل نيابة عن مولاه علي بن بكتكين والد مظفر الدين كوكبوري سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) ، وفي سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) انتقل لإدارة الموصل في عهد سيف الدين غازي ، وبعد وفاته تولى اخوه عز الدين مسعود حكم الموصل فدبر رجال دولته مؤامرة ضد مجاهد الدين نكاية به، فقبض عليه سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م) ثم عاد الى منصبه بعد الافراج عنه لحين وفاته سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، ينظر: عز الدين بن الاثير، ابي الحسن علي بن ابو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبدالقادر احمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، (القاهرة ، ١٩٦٣)، ص١٧٧ ، ص١٩٣.

[١٥] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير نشرة (ق-هـ) ، ص٦٤. وينظر: ابن الشعار، قلائد الجمان،٣٧/٩.

[١٦] ضياء الدين بن الاثير ،رسائل ابن الاثير، نشرة (ق-هـ) ، ص٩٩ ، ص١٠١.

[١٧] ضياء الدين بن الاثير ،رسائل ابن الاثير، نشرة (ق-هـ) ، ص١١٩-١٢٤.

[١٨] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: جمال الدين الشيال واخرون ، دار الوثائق القومية (القاهرة ،١٩٥٧)، ٣٣/ ١٠٨-١٠٩.

[١٩] سميساط: مدينة على شاطئ نهر الفرات ،طرف بلاد الروم على غربي الفرات، وفيها قلعة يسكن بجزء منها الارمن. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر(بيروت ، ١٩٥٥)، ٢٥٨/٣.

[٢٠] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (ق-هـ)، ص١٣٨-١٣٩، وكذلك نشرة (هـ)، ص١٠٣ . وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٩٠/٥.

[٢١] ابن الشعار، قلائد الجمان،٣٨/٩.

[٢٢] الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠) ، ٢٤/٢٧.

[٢٣] ابن الشعار، قلائد الجمان،٣٩/٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ٣٩٦/٥.

[٢٤] مثال ذلك (بحوث ندوة أبناء الاثير) التي اقامتها جامعة الموصل / كلية الآداب / لسنة ١٩٨٢ ، فهي على ما فيها تميّز واحياء لتراث الامة الأصيل ونشره بوصفه دافعاً لاسترجاع مجدها التليد ، الا انها تنكّبت عن القيمة التاريخية للرسائل وتمحورت بحوثها حول حياة أبناء الاثير وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ومن ثم ابراز نتاجاتهم العلمية والتاريخية والشرعية ، باستثناء دراسة يتيمة رائعة جاد بها الأستاذ هلال ناجي عن احدى مخطوطات ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير .

[٢٥] ابراهيم، رجب عبد الجواد، الفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري، دراسة في ضوء مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، دار الافاق العربية، (بيروت،٢٠٠٣)، ص٣٧.

[٢٦] أبو شامة ، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، تعليق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢) ،مج٢ ، ج٤ / ١٠١-١٠٢.

[٢٧] ضياء الدين بن الاثير، المفتاح المنشأ لحديقة الانشأ، تحقيق: هلال ناجي ، جامعة الموصل (الموصل ،١٩٨٣)، ص١٤. وفي ذات المعنى ينظر : ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة،١٩٣٩)، ٢ /٤١٣.

[٢٨] فرج، حسام احمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، (القاهرة،٢٠٠٧)، ص٥٦.

[٢٩] ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر ٩٦/١.

[٣٠] فاخوري، حنا ، الجامع في تاريخ الادب العربي، دار الجيل، (بيروت،١٩٨٦)، ص٦٥١.

[٣١] ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر،١٠١/١.

[٣٢] ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر، ٥٦/١.

[٣٣] ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر، ١٠١/١.

[٣٤] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (م) ، ص٣٣٦.

[٣٥] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (م) ، ص٣٠٨.

[٣٦] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (م) ، ص١٨٤-١٨٥.

[٣٧] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (م) ، ص٢٠٧.

[٣٨] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (م) ، ص٢٣٣.

[٣٩] أبو شامة ، الروضتين ، مج٤ ، ج٢ / ٤٢٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣ / ٣٩.

[٤٠] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣ / ٤٢.

[٤١] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣ / ٥٦.

[٤٢] للمزيد عن من تكلم في هذا السياق ، ينظر: المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر (القاهرة ، ١٩٤١)، ٢٣٢/١ ؛ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد ، المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة ، د.ت)، ٩٢/٣ . وكذلك ينظر : جب ، هاملتون ، صلاح الدين الايوبي / دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة : يوسف ايبش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص٢٠٥.

[٤٣] توفرت على مجمل مجاميع نشرات الرسائل الثلاث ، ففي نشرة (ق–هـ) جاءت (٨) رسائل في صفحات ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ؛ وفي نشرة (هـ) جاءت (٥) رسائل في صفحات ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ؛ وفي نشرة (م) جاءت (٣) رسائل في صفحات ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٩٧ .

[٤٤] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (هـ)، ص١٩٦.

[٤٥] ضياء الدين بن الاثير، رسائل ابن الاثير، نشرة (ق–هـ)، ص٩٢.